

حول السفافيد

الى صاحب العصور

(١)

حرر فكرك من كل التقاليد والاساطير الموروثة حتى لا تجد صعوبة ما
في رفض رأى من الآراء أو مذهب من المذامب اطمانت اليه نفسك وسكن
اليه عقلك اذا انكشف لك من الحقائق ما يناقضه

يتلو قارىء مجلة العصور هذه النصيحة القيمة في أول صفحة من كل عدد من
أعداد هذه المجلة المحترمة وليس شك ان المرتاحين الى هذه العقيدة ، عقيدة تحرير
الفكر من التقاليد ، هم الذين يقرؤون ما يكتبه قلم الأستاذ صاحب العصور . وهم الذين
يحقق لهم محاسبته اذا حاد عن السبيل الذى يدعو الناس الى سلوكه

رضينا بتلاوة العصور بارتياح لانها تدعو الى تحرير الفكر من كل التقاليد والاساطير
على أمل أنه متى تحرر الفكر فى هذه التقاليد بلغ درجة مؤدية الى الكمال أو ما يقارب
منه فاذا لم يكن هناك كالا بالمعنى المعروف فان هذا التحرير يردع الفكر عن ركوب
الشطط والزيغ عن الحق وخصوصاً متى كان حقاً علمياً عاماً ، اما اذا كان صاحب
العصور يدعونا الى شيء ثم يعمل على نقيضه وينهانا عن تحمل قيوده ويكبل فكره
باصفادها فهناك المصيبة العظمى والطامة الكبرى

ان الذى يتحرر فكره من التقاليد أو قل إن الذى يدعو الى تحرير الافكار من
التقاليد يجب عليه ان ينصف بالانصاف وعدم الميل مع اهواء النفس فالمنصف هو الذى يعرف
نفسه بنفسه ، وهو ايضا الذى يعرف الناس بقدر ما فيهم من صفات ، اما الميل مع
اهواء النفس فليست من صفات الداعين الى تحرير الفكر من التقاليد ولن يكون
الداعون الى تحرير الفكر من الذين يميلون مع اهواء النفس فكيف نعلل ذلك يا ترى
وقد أقام لنا الأستاذ صاحب العصور الدليل على اجتماع النقيضين والبرهان على أنه هو
ذاته محرر الفكر ومقيده فى آن واحد ؟

لا احتاج الى الدليل الذى يدل على تحرر فكر صاحب العصور من التقاليد وأعداد
المجلة طافحة بهذه الأدلة الجريئة ولا ينقصنى البرهان على ان صاحب العصور مقيد

فكر ، مكبل الارادة ، معدوم الانصاف ، مأخوذا بالميل مع اهواء النفس لأنه واضح
 من المقال المنشور في العدد الثالث والعشرين تحت عنوان « على السفود » الذي تناول
 به الأستاذ عباس محمود العقاد ورماء بأحط ما يرمى به اللثيم وخاطبه بأقبح ما تقذفه
 السنة السوقية بدون ما مراعاة ولا انصاف ولا حق

لقد كنا نعذر الاستاذ الفاضل صاحب العصور لو أنه فتح باب النقد البريء على
 مصراعيه ، لأن النقد البريء هو الذي يركز قابلية الرجل على قاعدة ثابتة كما أنه في
 ذات الوقت يقذف بادعياء العلم الى أنون النار ، ولكن كيف نعذره وقد قال في
 الاستاذ العقاد مالا يقول مثله إنسان فيه ذرة من إنصاف ؟

يقول صاحب العصور « إذا حذفت الشعور النليل القائم على الفهم والحق وعلى
 القلب والعقل ووضعت في مكانه الأم شعور وأخزاه خرج لك عباس العقاد الجلف
 الاسواني قائلاً لا أكاد افرغ من قراءة كلمة طيبة لأحد من خلق الله حتى امتلئ
 حننا وارانى اشعلت النار في لحمي ودمي »

لأدرى وقد لا يدرى صاحب العصور نفسه ما هو السبب الذي دعاه الى هذا القول
 في العقاد ولا ما هو المستند النفسى الذى استند عليه فى الصاق تهمة اللؤم فى رجل
 كالعقاد ما عرفنا فيه هذه الطبيعة ولا نمت كتابته العديدة عليها ولا أدرى كيف استساغ
 لنفسه ان ينطق نفسية العقاد او يجبرها كما تجبر النيابة الظنين على الاعتراف بغير ما اعترف
 فيقول بلسانه « انى لا اكاد افرغ من قراءة كلمة طيبة الى آخر ما تقوله عنه » ثم يقول
 صاحب العصور « ان لم يقل هذا المغرور ذلك فقد قالته افعاله فى الأم لغة واخس طبيعة »
 انا لا اريد النزول الى هذا الميدان الذى يريح فيه صاحب العصور بسلاح لؤم
 وخساسة وغرور وجلف والى آخر ما هنالك من امثال النعوت الذى نعت بها العقاد
 ولكنى اسال صاحب العصور بسكينة وتؤدة

(١) ما قيمة المرء الذى يهضم كل قول ويرضخ لكل رأى

(٢) ما الفرق بين الرجل الذى لا يبطأ رأسه الالحق ولا يذعن الالحكم العقل
 لاشك ان الفرق بين الرجلين كالفرق بين الابله والعاقل ولا جدال فى ان تصدى
 الجاهل للعاقل اقل من تصدى العاقل للجاهل ، فتصديق صاحب العصور للعقاد وانت الرجل
 الداعى الى حرية الفكر من التقاليد والاساطير الموروثة لا يقل عن تصدى الجاهل

للعقل . ولماذا ؟ الجواب لأنك تقول في العقد انه يورداً آراء الفلاسفة ويناقشها فهل في مناقشة آراء الفلاسفة والمتفلسفين جريمة على العقد يستأهل من اجلها ان يكون حماراً يلبس جلد أسد أو ذئباً يشب أو وقحا سافلاً يكافئته يا صاحب العصور الاديب ؟ او ليس يحق لنا ان نسمى دعواك هلى العقد جهلاً منك فيه لان الاندفاع مع اهواء النفس يكون من جراء نوبة عصبية او فورة من فورات الحسد .

لو نزهت قلبك وادبك وخلقتك عن هذه السفساف وقلت في العقد انه مترجم واقتت الدليل على أنه مترجم ، فقط اما كنت ابقيت في شرك هذه المقدرة على السباب وكتمتها عن قرائك الذين يعرفون فيك هذه الصفة وقد كانت خافية عليهم وقد تطغوا هذه الصفة الفذاعة على ادبك فتغمره في يوم من ايام حياتك قريب ؟

قل لي ايها الاستاذ الفاضل ماهو الفرق بين الاستاذ العقد المترجم وبينك وانت مترجم ايضا ؟ لا لا ، انا اقول لك الفرق لأن من حقى ان افرق بينكما اتما الاثنين لانى معجب بكما كل الاعجاب ومتبع كل ماتكبتانه وتترجمانه وقارىء اقوال الكافراة دارس معن الفرق بينكما ايها الاستاذ انك تترجم أقوال العلماء والكتاب والفلاسفة ترجمة صحيحة وتورد كل ما يدور حول الرأى من اقوال متضاربة أو متفقة ولا تدلى برأيك بين الآراء اما الاستاذ العقد فيفعل مثلما فعلت انت ولكنه يناقش كل رأى ويسفه الفكر الضعيف ويؤيد الفكر الناضج ويبدى رأيه الخاص بملاء الحرية

لا يحوجنى الدليل الى اقرار هذه الحقيه فامامى وانا اكتب هذه السطور بجلدات مجلة العصور وكتب العقد كلها فمن اراد أن يكون منصفاً فليقرأها ومن اراد أن يكون مثقفاً فليطالعها ، ومن اراد أن لا يحتقر رأى صاحب العصور فليتعامى عما كتب في العدد الثالث والعشرين تحت عنوان « على السفود » شفقة على الاديب صاحب العصور

ومن غريب ما ينمى صاحب العصور على العقد قوله هذا « واذا ذهب كل انسان يقرأ الكتب التى تعد بالملايين ويلخص كل كتاب فى مقالة أو مقالات فهل يعجز عن هذا العمل أحد وهل يكون كل الناس عباقرة لانهم قرؤا وفهموا وسرقوا ولخصوا ؟ » انه لمن الغريب جداً أن يتجنى صاحب العصور مثل هذا التجنى الذى لا يبخس حق العقد بل بالعكس فانه يظهر قدره العلمى وقوته الفائقة فى تلاوة الكتب

القيمة وتلخيصها في مقالة أو أكثر من مقالة ويقدمها للقارىء فيتلقفها شاكرًا بفضل العقاد وحامدًا بعقريته ، لأنه كفاه مؤونة تلاوة كتاب ضخم بمطالعة فصل جامع مانع . ناهيك اذا كان القارىء يجهل اللغة التي ترجم العقاد عنها والامرا لاكثر غرابة هو أن الأستاذ صاحب العصور الذى يعنى ويتجنى على الأستاذ العقاد يقرأ أو يترجم مثل العقاد ولكنه لا قدرة له على تلخيص ما يقرأه بلباقة وفهم فيروح يترجم فصلا أو فصولا من الكتاب ويشتم معدة القارىء بها بشما ولا يخلص الانسان من تخمة ما يترجمه الأستاذ صاحب العصور إلا صاحب المعدة القوية والصبور الجبار الجلود . فاذا فرضنا جدلا أن كلا الأستاذين مترجم فقط أى لا ذاتية بارزة له تقول دوما « أنا » فأيا منهما أفضل من الثانى وأيهما أنفع للمجتمع ؟ أنا أقول بانصاف وعدل بدون ما تردد أو تلكأ أن نسبة فضل الأستاذ صاحب العصور هي كنسبة فضل واحد الى عشرة أفضال العقاد على العلم والأدب وعلى الناشئة الجديدة والمتعلمين أحاول تحليل صبغة الحقد الضاربة على مقالة « على السفود » بقصد نفى الغل المتأصل في صدر الأستاذ صاحب العصور فلا أستطيع ذلك مطلقا وكيف يمكننى أن أصدق ما يقوله فيه « انه من أجهل الناس باللغة وبعلمها » . وأن لا تخلو مقالة له من لحن وأسلوبه الكتابى أحق مثله فهو مضطرب لا بلاغة فيه وليست له قيمة وهو في جهة اللغة والبيان ساقط ،

اللهم أشهد أن ما يقوله الأستاذ صاحب العصور كذب واقتراء واشهد أن صاحب العصور ذاته لا يقول في الأستاذ العقاد هذا القول المراء إلا عن ضغينة وغل وحسد وأشهد أنه يشهد في العقاد غير ما قاله في هذه المقالة التي كتبها لا أدري تحت أى تأثير من تأثيرات النفس أو اضطراب من اضطرابات الأعصاب لان حكم المجنون على العاقل بأنه مجنون لهو تركية لمعقل العاقل

لنفرض أن عشرة أساتذة أفاضل أصيبوا بمثل ما أصيب به الأستاذ صاحب العصور من مرض التحيز وتآلبوا على الأستاذ العقاد بقصد هدمه فهل تراهم يجمعون على رمية بجهل اللغة وبعلمها وسقوطه في البيان ؟ وهب أجمع هؤلاء السادة العشرة على رمي الأستاذ العقاد بهذا الجهل أفلا تظن أن مئات من الفضلاء يهبون دفعة واحدة لتقضي هذا الجهل المطلق ؟ وأن الآلاف من أنصار العقاد يتولون اللهم نشهد

أن ما يقوله صاحب العصور ومن فرضنا وجودهم معه كذب وافتراء؟
على السفود بل على جهنم وبئس القرار أولئك الذين يقعون تحت طائلة العقاب
فتالهم المادة الثالثة من دستور مجلة العصور وهذا نصها « التحرر في النقد من كل
القيود والروابط الشخصية باعتبار هذا خيراً وسيلة للنهوض بالأدب، وتفسير هذه المادة
في عرف الأستاذ صاحب العصور هو « إذا تخلى الله عن إنسان وكان أوفراً أدباً وعلماً وأخلاقاً
من صاحب العصور وكان فذاً عبقرياً كالأستاذ العقاد فإنه يكون « كاللقيط الذي لا يرى
له مكاناً والعالم وسكانه من ناحية وهو وحده من ناحية أخرى وهو يكره الوجود من نفسه
ويكره نفسه من أجل الوجود »

هذا هو حكم الأستاذ صاحب العصور على العباقرة أمثال العقاد وعلى من يهملهم
القدر فيقعون تحت طائلة حكمه

وكأنني بالأستاذ صاحب العصور يدعو الناس إلى اتباع أسلوب جديد في النقد
لم يفتح الشيطان على سواه به وخلاصة ذلك أن يقال في الأديب الذي يلقي على السفود
ما يقوله صبيان الأزقة من عبارات السباب وكلمات الفحش وفي السباب كفاية لتعلم
فن النقد الذي تحله الأمم الغربية المحل الأول من العلم

يشهد الله أنني كنت مزعج الدفاع عن فضل الأستاذ العقاد وعلبه وأدبه بغير هذه اللهجة التي لا
أرضاها لنفسى ولا أحب أن يسترسل كاتبها ولكني وبأت على رغم مني بأسلوب الأستاذ
صاحب العصور فكتبت، إنما اعترف أنني ما هبطت إلى الحمأة التي هبط إليها و كان بودي أن
أناقش الأستاذ صاحب العصور فيما ذهب إليه في تجريح شعر العقاد ولكني أترفع
عن ذلك مخافة أن يطبق على نص المادة الثالثة من دستور مجلته

حبیب الیاس الزحلاوی

الزحلاوی علی السفود

(٢)

مثل الأستاذ الزحلاوی فی نقده الذی لا نعتقد أنه لیس أقل من تسافه رمی به
صاحب العصور ومحرر العصور، الاكمل القائل :

خذی الدف یا هذه واضربی وبئی فضائل هذا النبی

تولى نبي بنى هاشم وجاء نبي بنى يعرب

وسلمى الفضائل!

فلا تبتغى السعى عند الصفا ولا زورة القبر فى يثرب

إذا القوم صلوا ، فلا تنهضى وإن صوموا فكلى واشربى

ولا تحرمى نفسك المؤمنية من من أقرين ومن أجنبي

فكيف حلت لذلك الغريب وصرت محرمة للاب

ليس الغراس لمن ربه ورواه فى عامه المجذب

وما الخمر الا كماء السحاب بطلق فقدست من مذهب

وقد حمل يده الدف الذى يدعى أن كاتب السفايد يضرب عليه وضرب عليه
وبث فضائله فى النقد ، ولم يتورع عن شئ نهى عنه فى مقاله ولم يتعفف عن أن
يناقض مذهب النقد الذى يعتقد أنه أرقى المذاهب ، وهو مناقشة الآراء فى لين وهوادة
ابتغاء الوصول الى الحقيقة ، واتحل لنفسه ما أراد أن يحرمه على صاحب العصور ،

وقدس المذهب بالفعل وأيده بالواقع

كل هذا من غير أن يعرف من كاتب هذه السفايد ! ولكنه ساق الكلام ظلماً
الى صاحب العصور ومحرر العصور ! وانى لن أبرىء نفسى من مسؤولية النشر لا أكثر
ولا أقل ان كان هناك مسؤولية أدبية وأظن فوق ذلك أن من حقى أن أنشر رأى
أديب فى أديب مهما بلغ ذلك الرأى من شدة ، ومهما بلغ القالب الذى صب فيه من
عنف . ذلك لاني حر الفكر لا تؤثر على صداقة بأحد ولا اعجاب بآخر ، وانى
لافضل أن أغلق باب العصور وانبذها سلعة فانية لا قيمة لها فى نظرى ، على ما لها
عندى من قيمة وعزة ، على أن أحاول اخفاء فكرة عنت لى أو أن أصد نفسى
عن التعبير عن جاشة تجيش بصدري او خطرة تخطر بذهنى . ذلك لاني اعيش بوجدانى
لا بمشاعرى ولا بميولى الشخصية ولا بعلاقاتى مع اصدقائى حتى ولا بأهلى .

والعصور ، ياسيدى ميدان تجرى فيه كل الافراس ، أصيلة وغير أصيلة ، وحلبة
يتسابق فيها كل الجياد . وكان من حق الاستاذ الزحلاوى أنه يأسف وأن يرمينا بأكثر
مما رمانابه ، لو أننا منعنا الاستاذ العقاد عن الدفاع عن نفسه على صفحات العصور كما
تفعل كل الجرائد والمجلات اطلاقاً لا تخصيصاً .

اتنا ياسيدى ندعو الى حرية الفكر وندعو اليها عن عقيدة وعن يقين ثابت .
لاندعو اليها دعاية ولا جريا وراء الجماهير ولا استهواء لفئة من القراء . فالعصور يستوى
عندها عشرة آلاف قارىء وقارىء واحد ، ويستوى عندها مليون من الجنهات وجنيه
واحد ، ويستوى عندها الف عقاد وعقاد واحد . لافرق عندها بين الكميات ، بل
الفرق كل الفرق عندها فى ، الكيف ، فاذا فرض وكان العقاد لصاً فلماذا لا يعرف
الناس انه لص كبير وإذا كان عامياً فلماذا لا يعرف الناس انه عامى ؟ وعلى اية قاعدة من
قواعد الحرية ياسيدى الاستاذ تحاول أن تمنع كاتب من أفذاذ كتاب العصر ان يقول
رأيه فى العقاد فلا يجد الا صفحات العصور ولا يجد الا صاحب العصور يتحمل هذا
الاذى الذى رمتنا ببعضه ؟ ألسنت ترى ان هذه تضحية تقدمها قريانا على مذهب حرية
الفكر التى نقدها أكثر من تقديسنا كل شيء فى هذا الوجود من ماديات ومعنويات ؟
واذا كان العقاد غير لص وكان كاتباً بليغاً فمن ذا الذى منعه عن الدفاع عن نفسه
ومن ذا الذى يدعى بان له الحق فى حرمانه من هذا الحق ؟

على أنى لأبرى نفسى . ومن حقى ايضا ان لأبرىء العقاد . بل انى آتهم نفسى
وأريد ان احاسبها وأشعر بلذة عميقة اذ اخلو اليها واطلب منها تقديم الحساب عما
جنت وعما سفهت به . افلا ترى معى ياسيدى الاستاذ أن من حقى ايضا أن
آتهم العقاد وأن احاسبه على ما يجرم اذا كان هو لا يحاسب نفسه بل يزيكها إثمها
وغرورها على جوانب الطرق وفى المقاهى العامة ؟

سيدى الاستاذ . ان عقادك كتلة من التكلف ، يحاول به أن يكون من أشباه
الرجال الذين يقرأ لهم . ولكن هيهات أن يصبح القزم جباراً اذا لبس جلد جبار .
واسمح لى ياسيدى أن أقول لك انك لا ترى فى هذا الهيكل الا جلد الجبار ، اما جبارك
وعبقريك فليس أكثر من قزم منزوفى بنصر القدم اليسرى من رجل جبار .

سيدى الاستاذ . لقد جنيت على العقاد . فانك بمقالك هذا قد أجبرتنى على أن
أقول فيه رأى هذا علناً وعلى صفحات العصور . على انى لا اغمطه بجانب هذا حقه .
فهو أديب من أدباء العصر له ميزاته الخاصة به وله نواحيه ، كما لكل أديب ميزاته
ونواحيه .

سيدى الاستاذ . انما يجنى على المرء أدبه . واذا انحط أدبه لم يفده عليه . فقل

يحقك من من اقذاذ مصر والعراق وتونس والجزائر والشام ولبنان وفلسطين سلم
من سفاهة عقادك هذا ؟ فلماذا تغضب ويغضب العقاد اذا ردت اليه العصور على يد
أديب نعتقد أن العقاد العبقري الجبار الذهن ليس أكثر من تليذ اذا قيس به ،
بعض الدين الذى أقرض الناس ، أو اذا كالت له بنفس الكيل الذى يكيل به للادباء
والعلماء والتراجمة أمثالى ؟

وافرض ياسيدى أنى لست أكثر من مترجم . فهل فى هذا منقصة تعدها على ؟
ليس فى هذا منقصة ، بل المنقصة يا سيدى أن أدعي أكثر من هذا ولو كنته . وهى
فى نابغتك العقاد ولاجدال .

على انى أشكرك كل الشكر لانك أفدتنى بنقدك هذا اذ عرفت فى نفسى رأى فئدة
من الناس وان كان لايعينى رأيهم ، بقدر مايعينى أن أرضى ضميرى أولا وقبل كل شىء .
قيل ان أرسطوطاليس كان لا يغضب . فتراهن البعض مع سفيه على اغضابه
واخراجه من وقاره ، ان فعل ربح الرهان ، وان أخفق خسر . فتربص به فى بعض
الطرق وأخذ يعد فى فمه بصقة كبيرة قذفها الى وجه أرسطوطاليس . فلم يغضب
بل قال : أو يكون فى فم الانسان كل هذا اللعاب ؟ . . ذلك لان البحث العلمى صرفه الى النظر
فى الامر نظرة بعيدة عن سفاهة الرجل .

واشهد الله ياسيدى الاستاذ انى مافكرت فى نفسى ابدا عندما انتهيت من تلاوة
كلمتك بل انصرف ذهنى توالى التفكير فى هل يبلغ انكار الانسان شخصيته الحد الذى
بلغت من انكار نفسك بجانب هذا العقاد ؟ ولكنى وقعت على ضالتي فعلمت ان من
الادباء او من الذين يدعون الادب من هم فى حكم الظلال المتقلبة حول الاجسام المادية .
وعلمت قوق هذا - وأقولها مكرها - انك لاشىء بجانب قزم منزو فى بنصر القدم اليسرى
من رجل جبار

اسماعيل مظهر